٢١

فضل الذكر عمومًا وفي أيام التشريق خصوصًا [١]

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للَّه،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون..

إننا في أيام مباركات، وهي أيام التشريق ، أيام عظمها الله في كتابه وعظمها رسوله ﷺ في سُنته وهي من أعياد المسلمين، كما ثبت عند الإمام أحمد والحاكم

(١) تخطب في يوم جمعة وافقت أحد أيام التشريق

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذكر لله**».

فأباح الله فيها التوسع بالأكل والشرب والأكل من لحوم الأضاحي مع كثرة ذكر الله فيها شكرًا له على نعمه وعلى ما أحل لهم من بهيمة الأنعام ونهى عن الصيام فيها لأنها من ضمن الأعياد التي شرعها الله للمسلمين.

فقد روى الطيالسي عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**نَهَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ صَوْمِ ستَّة أَيَّام منَ السَّنَة، ثَلَاثَة أَيَّام منَ التَّشْرِيقِ، وَيَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، مُخْتَصَّةً منَ الْأَيَّام**».

وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ، وَعن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَا: «**لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الهَدْيَ**».

وسميت بأيام التشريق لأنهم كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي على الشمس.

وقال بعض أهل العلم: كانت تكثر لحوم الأضاحي والهدايا عن حاجة يومهم فيدخرون لحومها فكانوا يشرحونها شرائح رقيقة، وينشرونها على الصخور أو على الجبال حتى تتعرض إلى أشعة الشمس فيذهب عنها الرطوبة التي هي سبب في فسادها. اهـ.

فينبغي على المسلمين عمومًا وعلى الحجيج خصوصًا أن تلهج ألسُنَتهم بذكر الله من التسبيح والتكبير والتهليل خصوصًا في هذه الأيام عملا بقوله تعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾[البقرة:٢٠٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « الْأَيَّامُ المعْدُودَاتُ» أَيَّامُ التَّشْرِيقِ، وَ«الْأَيَّامُ المعْلُومَاتُ» أَيَّامُ العَشْرِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖ ﴾ يَعْنِي: التَّكْبِيرُ أيامَ التَّشْرِيقِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ المكْتُوبَاتِ: الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ. اهـ .

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها، ولكون الناس أضيافا لله فيها، ولهذا حرم صيامها، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها، ولهذا قال النبي ﷺ : « أيام التشريق، أيام أكل وشرب، وذكر الله » ، ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشر، وليس ببعيد. اهـ

وفي هذه الأيام مشروعية ذبح الهدايا والأضاحي إلى غروب شمس الثالث عشر من ذي الحجة وهو آخر أيام التشريق وعند غروبها ينتهي وقت الذبح.

فقد روى الإمام أحمد والبيهقي عن عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ** » .

فيشرع للناس أن يأكلوا ويشربوا ويتصدقوا من هذه اللحوم ويدخروا منها إلى ما بعد أيام التشريق ويذكروا الله ويشكروه على هذه النعم ، فقد روى أبو داود والنسائي عن نُبَيْشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: « **إِنَّا كنَّا نَهَيْناكُم عن لُحُومها أن تأكُلُوها فوق ثَلاث، لكي تَسَعَكُم فقد جاء الله بالسَّعه، فكُلوا وادَّخِرُوا واتَّجِرُوا، ألا وإنَّ هذِهِ الأيامَ أيَّامُ أكلٍ وشُرْبٍ وذِكرٍ للهِ عزَ وجلَّ**» .

ويجب على العبد أن يخلص لله في هذه القربة ويشكره عليها وذلك بتقواه وصرفها حيث أراد الله والإكثار من ذكر الله قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا

وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج:٣٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الحج:٣٤] .

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾[البقرة:٢٠٠] .

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يأمرُ تَعَالَى بذكْرِه وَالْإِكْثَار منْهُ بَعْدَ قَضَاء المَناسك وَفَرَاغهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ ﴾ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ ابْنُ جُرَيج، عَنْ عَطَاء: هُوَ كَقَوْل الصَّبيِّ: « أَبَهْ أَمَّهْ»، يَعْني: كَمَا يَلْهَج الصَّبيُّ بذكْر أَبيه وَأُمِّه، فَكَذَلكَ أَنْتُمْ، فَالْهَجُوا بِذكْرِ الله بَعْدَ قَضَاء النُّسُك. وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّبيعُ بْنُ أَنَس.

وَقَالَ سَعيدُ بْنُ جُبَير، عَنِ ابْنِ عَبَّاس قال: كَانَ أَهْلُ الْجَاهليَّة يَقفُونَ في الموْسم فَيَقُولُ الرَّجُلُ منْهُمْ: كَانَ أَبي يُطْعمُ وَيَحْملُ الحَمَالات وَيَحْملُ الدِّيَات. لَيْسَ لَهُمْ ذكْرٌ غَيْرُ فعَال آبَائهمْ. فَأَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ:﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾ . اهـ

وقال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ ﴾ أَيْ: فَرَغْتُمْ منْ حَجِّكُمْ وَذَبَحْتُمْ نَسَائكَكُمْ، أَيْ: ذَبَائحَكُمْ، يُقَالُ: نَسَكَ الرَّجُلُ يَنْسُكُ نُسُكًا إِذَا ذَبَحَ نَسيكَتَهُ، وَذَلكَ بَعْدَ رَمْي جَمْرَة الْعَقَبَة وَالاسْتقْرَار بمنَى، فَاذْكُرُوا الله بالتَّكْبير وَالتَّحْميد وَالثَّنَاء عَلَيْه، كَذكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ، وَذَلكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ منَ الْحَجِّ وَقَفَتْ عنْدَ الْبَيْت فَذَكَرَتْ مَفَاخرَ آبَائهَا. اهـ

عباد الله..

اعلموا أن للذكر فضائل عظيمة ، ومزايا عديدة ، وأجور كثيرة في هذه الأيام وفي غيرها ، فذكر الله حياة للقلوب وراحة للأبدان ومطردة للشيطان فلو لم يكن من فوائد الذكر إلا أن الله يذكر الذاكرين ، ويكون معهم في كل حين لكان كافيا ، وكفى به منقبة ، وأنعم بها من ممدحة ، فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[البقرة:١٥٢]. فمن ذكر الله بقلبه ولسانه كان الله معه بنصره وتأييده وحفظه وتسديده ومن كان الله معه فلا خاذل له ولو اجتمع عليه من في الأرض كلهم جميعا .

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** » .

فما أيسر الذكر وما أسهله على من وفقه الله له، فهو عبادة عظيمة لا يكلف العبد جهدًا ولا مالاً ولا مشقة، ولهذا وصف الله أولي الألباب وهم أصحاب العقول السليمة أنهم يذكرون الله على كل أحوالهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١]، فالعاقل اللبيب هو الذي لا يفتر عن ذكر ربه في كل أحواله، قائمًا وقاعدًا وراقدًا ، ويذكر الله في مدخله ومخرجه ، وفي ركوبه وسفره ، وعند طعامه ومرقده ، ونومه واستيقاظه، دائمًا متصل بربه، لأن ناصيته بيده، فمن كان

كذلك فليبشر بلطفه وحفظه وفضله وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، والفوز برضاه فالموفق من وفقه الله لذكره وشكره وحسن عبادته، و ينبغي الاعتماد في ذلك على الله وسؤاله المعونة في أمور دينه ودنياه عملا بقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة:٥] .

فلا سبيل للعبد إلى ذلك إلا بمعونة وتوفيق من ربه، ولذلك علّم النبي ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدعو الله في صلاته بأن يعينه على ذكره وشكره وحُسن عبادته.

فقد روى أبو داود عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسولَ الله – ﷺ– أخذ بيده وقال: « **يا معاذُ والله إني لأحبُّك**» ، فقال: « **أُوصيكَ يا معاذ لا تَدَعن في دُبُر كُل صلاةٍ أن تقول: اللهُمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتك** ».

والذكر عباد الله: من أحب الأعمال إلى الله وأفضلها وأقربها إليه.

فقد روى الطبراني والبزار عن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وفي رواية: أخبرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله، قَالَ: « **أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي والحال أن لسانك (رطب من ذكر الله) يعني أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر فإن للذكر فوائد جليلة وعوائد جزيلة وتأثيرا عجيبا في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضد ذلك. قال الطيبي: ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه كما أن يبسه عبارة عن ضده ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن إدامة الذكر. اهـ

فالنبي ﷺ حث على مداومة الذكر حتى يأتي الموت فهنيئا لمن مات ولسانه ذاكر لله وهنيئًا لمن مات وهو يذكر الله وختم له بلا إله إلا الله .

فقد روى أبو داود عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله -ﷺ-: « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** » .

فالذاكر حي القلب والغافل ميت القلب فقد روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ** » .

وفي رواية عند مسلم: « **مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِى يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِى لاَ يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ** » .

وملازمة الذكر من أسباب النجاة من عذاب الله لما روى الطبراني رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مِنْ ذِكْرِ الله** » ، قِيلَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: « **وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ** » .

فانظر يا عبد الله كيف فضل النبي ﷺ الذكر على الجهاد في سبيل الله وقد علمت فضل الجهاد في سبيل الله وما أعد الله للمجاهدين في سبيله في الجنة من المنازل الرفيعة والدرجات العالية .

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ** » ، قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « **ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » .

وقد استشكل بعض أهل العلم ذلك، فقالوا :كيف يكون الذكر أفضل من الجهاد وقد جاءت أدلة كثيرة في أفضلية الجهاد في سبيل الله ؟ .

فمتى يكون للذكر مزية ، وفضل على الجهاد في سبيل الله ياعباد الله؟.

يكون للذكر مزية وفضل على الجهاد، إذا تواطأ ذكر اللسان مع حضور القلب، وذلك بأن يستحضر الذاكر عظمة ربه بقلبه ويتمعن معاني الذكر الذي ينطق به لسانه.

وقد جمع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين أدلة فضيلة الجهاد في سبيل الله وأدلة أفضلية ذكر الله فقال: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ الله فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ الذِّكْرُ الْكَامِلُ وَهُوَ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ ذِكْرُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِالتَّفَكُّرِ فِي الْمَعْنَى وَاسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ الله تَعَالَى وَأَنَّ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ يَكُونُ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُقَاتِلُ الْكُفَّارَ... ثم قال: فَمَنِ اتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ جَمَعَ ذَلِكَ كَمَنْ يَذْكُرُ الله بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ وَكُلُّ ذَلِكَ حَالَ صَلَاتِهِ أَوْ فِي صِيَامِهِ أَوْ تَصَدُّقِهِ أَوْ قِتَالِهِ الْكُفَّارَ مَثَلًا فَهُوَ الَّذِي بَلَغَ الْغَايَةَ الْقُصْوَى وَالْعِلْمُ عِنْدَ الله تَعَالَى.اهـ

وَأَجَابَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ بِأَنَّهُ مَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ إِلَّا وَالذِّكْرُ مُشْتَرَطٌ فِي تَصْحِيحِهِ فَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ الله بِقَلْبِهِ عِنْدَ صَدَقَتِهِ أَوْ صِيَامِهِ مَثَلًا فَلَيْسَ عَمَلُهُ كَامِلًا فَصَارَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ. اهـ.

ويزداد أجر الذكر وفضله حال خلو العبد بربه وأنسه بذكره، فقد جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ... وذكر منهم: وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » .

فلما كان الخالي عن الناس أبعد عن الرياء خصه هنا بالذكر.

وربما تكون الخلوة في هذا الحديث أشمل وأعم من الخلوة من أعين الناس وهي أنه لا يلتفت إلى الخلق ولا إلى مشاغل الدنيا وإنما يتعلق قلبه بالله فيذكر ربه فتفيض عيناه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى: «ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» : أي خاليا من الخلق ومن الالتفات إلى غير الله ففاضت عيناه إما خوفًا من الله أو محبة وشوقا. اهـ بمعناه.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي خاليا من مشاغل الدنيا قلب صافٍ ليس له تعلقات ففاضت عيناه شوقا إلى الله وخوفًا منه. اهـ

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله حمدًا كثيرًا، طيبًا مباركًا ، كما يحب ربنا ويرضى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، ونصلي ونسلم على محمد عبده ورسوله تسليمًا مزيدًا.

أما بعد :

فإن للذكر فضائل عديدة ومناقب جزيلة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإن الله يكون مع من ذكره بالتوفيق والتسديد، والنصر والحفظ والتأييد، وأما في الآخرة بالإثابة والمغفرة.

قال تعالى﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾[البقرة:١٥٢].

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أي: فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكرْكم برحمتي إياكم ومغفرَتي لكم. اهـ

وقال العيني في معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: « **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَنِي**» . أي: معه بعلمه وقيل معه بحسب ما قصد من ذكره «**فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ** » بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا. اهـ

وقال ابن أبي جمرة:أي: اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام. اهـ.

وهذا تفسير بالمقتضى، فإن الله يذكره ثم يثيبه، فلا مانع من أن الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكره في نفسه أو عند الملأ الأعلى ثم يثيبه بمقتضى ذلك، فإن من صفات الله تعالى ذكره لعبده الذاكر فإذا ذكره أثابه.

فيا عباد الله : إن ذكر الله من أسهل العبادات التي يقوم بها العبد فهو أيسر عليه من قيام الليل وجهاد الكفار ونفقة الأموال فمن عجز عن هذه الأعمال

فلا يعجز عن ذكر الله تعالى.

فقد روى الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** » .

والذاكرون لله عَزَّوَجَلَّ هم السابقون بالدرجات العالية والنعيم المقيم في الجنة .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: «**سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**» .

هذا وإن الله قد أعد للذاكرين له ذكرًا كثيرًا مغفرة لذنوبهم وأجورًا عظيمة، لا يقدر قدرها ولا يعلم كثرتها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥] .

فاحرص يا عبد الله على الذكر في سائر الأوقات عمومًا وفي هذه الأوقات خصوصًا، فإن الذكر يتأكد فضله في أيام عشر ذي الحجة، وفي أيام التشريق لفضل هذه الأيام .

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين الخائفين اللهم إنا نسألك ألسنةً ذاكرة وقلوبًا شاكرة وأعمالا مقبولة اللهم تقبل منا صالح الأعمال وتجاوز عن سيئها برحمتك يا أرحم الراحمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين.